٧ـ قراءة فى الخطاب السياسى للسنيورة: الحكومة اللبنانية وأزمة تموز (يوليو) ٢٠٠٦

د. أمانى مسعود الحدينى(*)

مقدمة

تعتبر اللغة وسيلة هامة للتعبير عن النشاطات والممارسات السياسية؛ ومن ثم عن القوة والسيطرة. فمن خلال اللغة يستطيع السياسيون السيطرة على عقول مستمعيهم، ويتمكنون من فرض نفوذهم والتأثير عليهم.

وطبقًا لـ Geis[1] فإن السياسة: «.. هى نشاط لغوى يتم من خلاله توظيف اللغة لإخبار الآخرين بالقضايا السياسية»؛ فاللغة لم تكن أبدًا بعيدة عن السياسة.. ولقد أكد اقتراب التحليل النقدى للخطاب Critical Discourse Analysis Approach على أن تحليل المفاهيم والاتجاهات السياسية المختلفة، والتى تستنبط من لغة هذا السياسى أو ذاك؛ تؤكد تلك العلاقة الارتباطية بين السياسة أو القوة والمناورة، وإيضاح وسائل الإقناع وسبل السيطرة على العقول؛ ومن ثم ممارسة القوة أو على الأقل تحييد بعض الجماعات والحصول على ولاء الآخرين.

والجدير بالذكر أن استخدام اللغة للتواصل والإقناع، ولإيصال المفاهيم؛ يسمى العملية الإدراكية، التى تعنى استخراج بعض المفاهيم والمعلومات من الفرد إلى الجماعة؛ لإيصالها إلى عقول الآخرين؛ ومن ثم إعادة تشكيل المفاهيم والعقول.

(*) أستاذ العلوم السياسية المساعد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

تتوجه الباحثة بخالص الشكر إلى الأستاذ ياسر حسن. طالب الماجستير بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب. جامعة عين شمس.

ويعتمد السياسى على استخدام بعض الشعارات والصور والرموز اللغوية، وبالذات فى أوقات الحروب والأزمات؛ للتأثير على هذه العملية الإدراكية وتطويعها لصالح أفكاره ورسالته الخطابية.

ويرى البعض[٢] أن عملية إدراكِ ما يبثه السياسى فى خطابه هى عملية معقدة، تتألف من عدة جوانب سيكولوجية وفلسفية، إضافة إلى ممارسات من الخبرات السابقة للتحكم فى العملية الإدراكية التى تتأتى من خلال اللغة، والتى نستطيع من خلالها أن نؤول ونحكم ونستنبط التصورات والمفاهيم الخاصة بصاحب الخطاب؛ استنادًا إلى أن اللغة ذات تأثير لا شعورى على التفكير السياسى، وعلى متلقى الخطاب؛ ومن ثم على سلوكه، وذلك بإعادة تشكيل إدراكه للحدث السياسى؛ فعندما «تتشكل المفاهيم وفقًا لـ Geis؛ يمكن التحايل على الإدراك»[٣]؛ ومن هنا برزت أهمية تحليل الخطاب السياسى كأحد مناهج تحليل الحدث السياسى؛ نظرًا لما تتمتع به مفردات اللغة من إمكانية تأويل اللفظ الواحد بعدة طرق.

ولقد جاء هذا الاقتراب ليجعل من السهولة بمكان للسياسى أن يستخدم من المفردات ما يضمن له إمكانية تأويلها، حتى لا يلزم تأويلاً أو تفسيرًا واحدًا، ورأى البعض[٤] أن تحليل ما جاء فى الخطاب السياسى من خلال ظاهر النص والتصريحات الرسمية لا يفيد كثيرًا؛ وإنما يجب أن ينصب التحليل على المواقف الأقل وضوحًا؛ مثل التعبيرات التلميحية، أو ما يفهم ضمنيًا، وهو ما اصطلح على تسميته ما وراء النص، أو مابين السطور، ولدى البعض المسكوت عنه.

وخصوصية التحليل اللغوى للنصوص السياسية؛ تنبع من أن المفردات اللغوية المستخدمة فى الخطاب السياسى هى تعبير وترجمة للإستراتيجيات المختلفة التى يستخدمها السياسى من أجل الوصول إلى أهدافه الخاصة؛ ولهذا تتميز لغة الخطاب السياسى ببعض الإستراتيجيات التى تقوم على ما يلى:

- تقديم الحجة والحجة المضادة، واستخدام أساليب المناورة والخداع.
- بث خطابه بصورة تعبر عن السيطرة والقوة.

وقد يلجأ السياسى للأسلوبين معًا لإعادة تشكيل المفاهيم أو الاتجاهات داخل عقول الأفراد.

ويبدو أن هناك عدة أساليب للتحليل اللغوى، منها التحليل البلاغى، أو استخدام بعض الأساليب كالمبنى للمجهول، أو الأفعال التى تعبر عن الإرادة والثقة، أو صيغ المناداة، أو عن طريق استخدام الضمائر الشخصية، إضافة إلى تكرار المفردات.

وتطوع هذه الدراسة بعداً من أبعاد اقتراب التحليل اللغوى المستند على تحليل الضمائر والتكرار، من خلال قراءة سياسية لخطابات «فؤاد السنيورة»، بصفته الخطاب الرسمى والحكومى أثناء الحرب اللبنانية فى يوليو ٢٠٠٦؛ لتحليل التوجهات السياسية للحكومة تجاه الأزمة، ولاستشراف آفاق مستقبل الدولة اللبنانية، التى يبدو أنها تأبى أن تعيش بلا أزمات.

فمنذ اغتيال رئيس الوزراء اللبنانى السابق رفيق الحريرى، والنقاش يحتدم حول عدة قضايا لبنانية الطابع إقليمية ودولية التداعيات، منها الوجود أو الغياب السورى فى لبنان، والنفوذ الأمريكى والغربى فى المنطقة، وقضية المقاومة فى الجنوب، وما ارتبط بذلك من دعاوى ضرورة نزع سلاح حزب الله، وقضية الأمن الإسرائيلى، وهشاشة الدولة اللبنانية، ومدى شرعيتها ومصداقيتها بعد الحرب، ثم العودة إلى الحديث عن صورة شبح الحرب الأهلية، وارتباط ذلك كله بالشأن الداخلى السياسى فى لبنان، وشكل نظام الحكم فيه.

ولا ريب أن الحرب اللبنانية/ الإسرائيلية كانت عاملاً هامّا سواء فى ترتيب أوراق البيت اللبنانى من الداخل، وإثارة المزيد من الاختلاف بين الفرقاء على الساحة السياسية اللبنانية، أو فى استنهاض قضايا ظلت راكدة سنوات طويلة، بفعل ثبات المتغيرات الإقليمية والدولية.. وقد خلفت الحرب أزمة أخرى بين اللبنانيين أنفسهم، وأطلت الصراعات برأسها فى مرحلة ما بعد الحرب.

وتأتى المحاور التسعة لهذه الدراسة متماشية مع إستراتيجية السنيورة فى التعامل مع الأزمة، والتى هدفت لتحقيق هدفين وهما: السيطرة على الداخل واستمالة الشعب اللبنانى للتوحد معه لمواجهة الأزمة، وكسب تأييد الخارج وضمان استمرارية اعتراف المجتمع الدولى بالحكومة الحالية.

أولاً: الحرب والأزمة اللبنانية

كان رئيس الوزراء السنيورة فى خطاباته يصف ما يحدث فى لبنان أحيانا بالحرب، وأحيانا بالأزمة. فالحرب اللبنانية فى خطابه هى «**. . . الكارثة والكابوس اللذين يواجههما لبنان منذ أكثر من ثلاثة أسابيع**»، و«**بأنها كلّفت لبنان الكثير فى حياة أبنائه وفى بنيته الأساسية، وفى التهجير الذى طاول ثلث المواطنين**».

كما وصف **الأزمة اللبنانية** على أنها «**ظروف مروّعة**»، ووضح البعد الدرامى فى تصوير المسألة اللبنانية واستدرار عطف المجتمع الدولى فى تصوير ضحايا الحرب والنازحين ... «**كم الأطفال الذين سقطوا ضحايا للحرب . .** » ... «**أكثر من ٤٠٠ شهيد و٢٠٠٠ جريح حتى الآن، ثلثهم من الأطفال ما دون الـ١٢ عامًا**»، أو فى صورة النازحين من لبنان ... «حاولوا تخيل ما قد يحصل فى حال اضطر ربع سكان بلدانكم إلى ترك منازلهم من دون أى حاجيات سوى الكسوة التى يلبسونها». ووصلت الدراما إلى ذروتها فى خطاب السنيورة حين أضفى على الأزمة اللبنانية بعد المعاناة الإنسانية التى لا تحتمل: «**... هذه قصة بلد ممزق من جراء الدمار والنزوح والتشريد واليأس والموت**»[٥].

وأفرط السنيورة فى إضفاء البعد الدرامى بالاستشهاد بالوقائع، وشخصنة الألم بصفته رئيسًا للحكومة؛ ليعكس على المستمعين إحساس معاناة المسئول والحكومة الرسمية: «**. . . قمت بزيارة إحدى المستشفيات المكتظة بالمدنيين المصابين وسمعت صراخهم وأنينهم واستمعت لمخاوفهم وارتباكهم**». . كما كان السنيورة حريصًا على تصوير الصورة المأسوية على أنها صورة حقيقية بعيدة عن المبالغة، ولم تزده سوى صلابة وقوة: «**... لا حاجة لإطلاعكم على وقع هذه التجربة المؤثرة، إلا أننى استمددت القوة من شجاعة شعبى وأتيت إليكم مصممًا على السعى لوضع حد لمعاناتهم**».

كما حرص السنيورة فى خطابه على تصوير الحرب على أنها حرب **ممتدة وشاملة وغير نظيفة**: «**. . . استهدفت. . . التخريب الهائل للمنازل والمستشفيات والجسور والمخازن والمصانع ومقرات الأمم المتحدة والمراكز الأمنية والبريد والدفاع المدنى، وهوائيات وسائل الاتصال والتليفون**».

ولم يقتصر وصف آثار الحرب فى خطاب السنيورة على البعد البشرى؛ بل امتد إلى البنية التحتية: «**... زهاء مليون نازح أو ما يعادل ربع سكان لبنان، وفى بعض المناطق شُلّ**

عمل المستشفيات؛ فلم تعد تستطيع معالجة المصابين، كما سجل نقص فى المؤن الغذائية والأدوية، وتم تدمير المنازل والمعامل والمخازن تدميرًا كليًا، وقطعت الطرق ودمرت الجسور»، كما أنها **حرب عشوائية** لم تفرق بين ما هو لبنانى وما دون ذلك ... : **«.. تعرضت منشآت الأمم المتحدة وثكنات الجيش ومراكز القوة الأمنية المشتركة للقصف، وتم تدمير وحدة دفاع مدنى كليًا، وقصفت مراكز إنتاج الطاقة الكهربائية وخزانات الوقود؛ مما ألحق ضررًا بيئيًا كبيرًا بالشاطئ الشرقى للبحر المتوسط، وأحرقت الشاحنات، ودمرت هوائيات البث التلفزيونى والخلوى، واضطر الرعايا الأجانب إلى مغادرة البلاد، كما تم فرض حصار برى وجوى وبحرى على لبنان»**[٦]، واتضح حرص السنيورة فى خطابه على تعميم وشمولية تداعيات الحرب على العالم كله، وعدم قصره على لبنان، وكان بارعًا فى تعبيره: **«كما تعلمون جميعًا»**؛ لتأكيد عمومية تداعيات المأساة، وسرد فى خطابه عدة حجج توضيحية إقناعية استمدها من أجندة الغرب وتقع فى أولوياته، وسعى من خلالها إلى استمالة الغرب، وكيف أثرت تداعيات الحرب سلبًا عليه؛ فكان موضوع الإصلاح الاقتصادى والديموقراطية وتحقيق الاستقرار فى المنطقة، وتفادى تصدير العنف لبقية أنحاء العالم، أو ما أطلق عليه الغرب «تصدير الإرهاب». كما ربط السنيورة بين تفعيل مسألة تعزيز الديموقراطية فى العالمين العربى والإسلامى؛ وهو المطلب الأولى بالرعاية لدى الغرب بالسلام العادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين: **«لقد طالبت بتعاون جدى؛ وهو مطلب ما زال يحتل مرتبة متقدمة فى أولوياتنا لإحلال سلام عادل ودائم بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية الأخرى وفقًا لما جاء فى مبادرة السلام التى أطلقتها قمة بيروت العربية العام ٢٠٠٢»**. وكانت إحدى الحجج التى أوردها فى ذلك أنه كلما ابتعد المجتمع الدولى عن ذلك الحل العادل لهذه القضية المزمنة فى الشرق الأوسط كلما حل الدمار والخراب والإرهاب فى المنطقة . . . **«كم تبدو هذه الأمور بعيدة الآن» . . . «نحن الآن نتكلم فقط عن الموت والحرب، الدمار والتشريد، الإصابات والمعاناة.»**[٧] . . ولا ريب أن تكرار الحديث عن هذه الأهوال والمذابح إنما قصد السنيورة من ورائه تهييج المشاعر اللبنانية للعمل فى صف واحد خلف قيادته.

١ ـ الإصلاح الاقتصادى

أوضح السنيورة كيف حالت الأزمة اللبنانية دون إجراءات الإصلاح الاقتصادى والمؤسساتى التى ستساعد الاقتصاد اللبنانى على تحقيق النمو وتعزيز الإنماء الاجتماعى

والاقتصادى المستدام، وتحسين مستوى الوظائف الإنتاجية. . مؤكدًا أنه: «**قبل الأزمة كانت هناك رؤية اقتصادية شاملة تعيد إحياء الاقتصاد، وتجد حلا لمشكلة ديننا المتراكم**»[٨] وكأنما يريد أن يؤكد للغرب الحريص على تحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية معًا أن الهجوم الإسرائيلى على لبنان سيقوض كافة الإصلاحات التى قام بها لبنان وأيدها الغرب.

٢ ـ التجربة الديموقراطية

ربط السنيورة فى خطابه نجاح التجربة الديموقراطية فى تحقيق الاستقرار باستمرار دعم المجتمع الدولى لبلاده؛ لضمان ديمومة هذا الدعم . . . : «**إن دعم المجتمع الدولى أساسى لإعادة إحياء بلدنا، وإن دعمكم المستمر حاسم بالتأكيد لإنجاح التجربة الديموقراطية اللبنانية فى منطقتنا**». وكانت الصيغة التحذيرية واضحة فى خطابه حين نبه إلى خطورة أن الفشل سيعم، وأن تداعياته لن تقف عند حدود لبنان: «**. . كما كنا نبهنا لخطورة الفشل بالنسبة لنا جميعًا**»[٩]، وكذلك . . . . «**نحن محتاجون فعلاً إلى المساعدات الإغاثية العاجلة والإعمارية فى المدى الطويل؛ لمواجهة التحديات العاصفة التى ضربت بلادَنا ومواطنينا، وبناء الحياة والعُمران للمرة الثامنة من جديد**»[١٠].

ثانيًا: صورة الدولة اللبنانية

فى خطاب السنيورة جاءت صورة الدولة ضعيفة هشة، وخاصة حين شرط السنيورة أسباب نجاح الدولة فى أداء دورها الاجتماعى والسياسى بمساعدة المجتمع الدولى؛ تلك الفكرة التى احتلت نصيب الأسد فى خطابات السنيورة، وكانت من أهم تنويهات الغرب له: «**. . أناشد المجتمع الدولى إلى إبداء اهتمام متزايد لتمكين الحكومة اللبنانية لتطبيق برنامجها الإصلاحى اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، والتخفيف من مشاعر اليأس والإحباط والشعور بالإذلال المنتشر فى المنطقة**»[١١].

وتجدر الإشارة إلى أن حرص السنيورة على إظهار لبنان فى صورة العاجز أمام العالم إنما قصد منه كسب العطف والتأييد فى الداخل والخارج؛ فعلى الصعيد الخارجى طالب السنيورة بوضع حل نهائى لمزارع شبعا المحتلة من إسرائيل؛ لبسط سيطرة حكومته عليها؛ ومن ثم إظهار الحكومة فى صورة المدافع عن قضايا لبنان فى الداخل، وسحب الدعم الذى

سيتلقاه لبنان فى حل قضاياه الخارجية على حل قضاياه الداخلية التى يشارك فى نظرته لها بعض القوى فى الخارج.

واتضحت هشاشة الدولة اللبنانية فى اختراق إسرائيل لسيادتها باستمرار. . . . **«إنّ الهجوم الإسرائيليَّ الحاليَّ هو السابعُ؛ إذ فيه خروج على كل القوانين والأعراف الأخلاقية والإنسانية والدولية»**.

ولكن يبدو أن السنيورة حاول مرارًا التغلب على تلك الهشاشة، وتأكيد شرعية الدولة من خلال المساعدة الخارجية. . . **«نحن نحترمُ القرار ١٧٠١ وسنرسل الجيشَ تعاونه القواتُ الدوليةُ للانتشار فى الجنوب»**. . ومع ذلك ظلت سيادة الدولة فى خطاب السنيورة فى مأزق؛ إذ لن يستطيع الجيش وحده تأكيدها، فلو قام الجيش بالرد فسيتعرض لبنان لتدمير أكبر.

وفى محاولة منه لاكتساب مزيد من الشرعية لدولته ولحكومته وللجيش الذى يعتبر رمز الدولة؛ أشار السنيورة فى خطابه إلى أنّ الجيش هو جيش كل اللبنانيين، والجنوب ليس استثناءً: **«نرسلُ اليوم الجيشَ من الوطنِ إلى الوطن، ومن أجل أهلنا فى الجنوب، من الذين بقُوا فى بيوتهم، والذين يعودون إليها ليحميَهُم ويدافعَ عن أرضهم ويحافظَ على بيوتهم ويحافظَ على عملهمْ وأرزاقهمْ، ويصونَ حريتَهم وأمنَهُم»**. وأضاف فى فقرة ثانية مؤكدًا أن مهمةَ الجيش اللبنانى فى الجنوب ليست موجهة أبدًا إلى أهل الجنوب؛ وإنما هى: **«. . . للدفاع عن حق الدولة وواجباتها فى بسط سيادتِها على كامل أرضِ الوطن لتكونَ لهم حاميةً وحاضنةً»**.

ورغم أن السنيورة لم يهاجم صراحة حزب الله فى الجنوب؛ إلا أنه أشار ضمنًا إلى لا معقولية وعدم قبول أن تكون هناك قوى أخرى خارج الدولة تملك السلاح وترفض سيطرة الجيش: **«. . . . مناطقُ أو أماكنُ محظورةٌ على دخول الجيش، ونواحٍ خارجَ سيطرتِه، ومرافقُ عسكريةٌ غيرُ مرافقِه ومظاهرُ مسلّحةٌ غيرَ سلاحه»**.

وأشار السنيورة إلى الجيش اللبنانى بأنه جيشُ كُلِّ لبنان، جيشُ كل اللبنانيين. . ودعا الكل إلى **«الالتفاف حول الجيش»**، وكأنما يشير إلى الدولة اللبنانية وحكومته بصفة الجيش رمزًا لها: **«كونوا معه، كما هو معكم ولكم»**.

وبالرغم من أن الخطاب السنيورى قد خلا فى كثير من نصوصه من صيغ التحدى والمقاومة للعدو الإسرائيلى، وغلبت صيغة الاستسلام فى كثير من مفرداته . . . . . **«مُحاصرون فى لبنان ليس بالجيش الإسرائيلى فى البر والبحر والجوّ فقط؛ بل ويتلوّث البيئة، وبالخراب الذى نشره العدوان على مساحة البلاد»**. إلا أن روح الأمل فى البناء والانتصار لم تخلُ منها خطاباته . . . **«. . إنّ الآلة الحربية الإسرائيلية التى ضربت مُدُننا وقُرانا وبنيتنا الأساسية وإنسانَنا وأطفالنا ونساءَنا؛ ما كان لتنالَ من عزيمتنا ومن إصرارنا على الحرية والاستقلال والكرامة. فليعلم الإسرائيليون أنهم لن يستطيعوا تدمير إرادة الحياة والحرية فينا. إنّ المُمانعة جزءٌ أساسىٌ فى ضمير الإنسان وطبيعته. وبمساعدتكم إن شاء الله ستتجاوزُ العملَ الوحشىَّ الأخير، وستأتون إلى لبنان فتجدونه باسمًا مرحِّبًا بكم»**[١٢] ولقد تغيرت مفردات خطاب السنيورة الاستسلامية كلية بعد الحرب، وغلب عليها صيغة التحدى وشحذ الهمم، فى محاولة لتعبئة كل الطوائف اللبنانية لعملية البناء ولتوحيد الصف: **«إن إسرائيل لم تعد صاحبةَ قوة لا تقاوَم وجيش لا يُقهر. . لقد خابت إسرائيل فى محاولتها النيلَ من ثَباتِكُم فى أرضكم ودفاعِكم عنّها حتى الاستشهاد»**[١٣].

وحينما أشرفت الأزمة على الانتهاء، وفى محاولته للتغلب على تداعيات الأزمة اللبنانية والحيلولة دون تحولها إلى شكل آخر من الصراع الداخلى؛ سادت أساليب التحذير فى خطابه، وخصوصًا من التعامل مع الأزمة بمنطق الفئوية . . . **«ليس الوقتُ وقتَ التفرقة والتمييز والحسابات الفئوية؛ بل هو وقتُ التعاضد من أجل الوطن الواحد وتعزيز دولته»**[١٤] ودعا السنيورة فى خطابه إلى توحيد الصفوف، وإلى الدولة الموحدة غير المخترقة؛ أى التى لا يطوِّعُها أحد بالداخل والخارج لمصلحته، فى محاولة مستترة من جانبه إلى دعوة كافة القوى اللبنانية إلى توقيع عقد اجتماعى جديد لإقامة هذه الدولة المأمولة . . . **« دولة واحدة حرة مستقلة صاحبة قرار واحد، وسلطة لا ازدواجيةَ فيها. فلا يكونُ من حقِّ كلِّ مقتدر بالداخل أو بالخارج أن يمضّى بالمواطنين والوطن إلى حيث يشاء، ويكونُ على كلِّ الفُرقاء الآخرين أن يسيروا من ورائه، وإلاّ كانوا انقساميين ومفرِّطين بالوحدة الوطنية! أو مطعونًا بإخلاصهم الوطنى والعربى»**.

وفى سياق الحديث عن هذه الدولة المأمولة تحدث السنيورة واصفًا إياها بأنها **« . . . الدولةَ القويةَ والديموقراطيةَ، دولةَ القرار الحر والسيادة الكاملة، دولةَ اللبنانيين**

المتساوين فى حقوقهم وواجباتهم، وبأنها هى الانتصارُ الأكبرُ الذى نستطيعُ نحن اللبنانيين تحقيقَه. .» وحرص السنيورة فى خطابه على الحديث بصيغة جمعية كأحد أهم وسائل الاستمالة: **«. . . إننا كلُّنا نُدركُ جيدًا»** وبدا من خطابه أن مسألة الدولة لا خيار ولا تجزئة فيها: **«. . . ما يقتضيه أمنُ لبنان وسلامةُ كلِّ أبنائه واستقرارُه وحقُّ الدولة وواجبُها أن تبسُطَ سلطتَها كاملةً على كلِّ أراضيها»**. وحملت مفرداته فى هذا السياق من جديد صيغة التهديد **«. . . لا يخفى عليكم أنّ التساهُلَ فى أمْرِ هذا الحقِّ يُعَرِّضُ بلادَنا أن تُصبحَ من جديد ساحةً للصراعات الإقليمية والدولية»** من تداعيات الحيدة عن طريق الصواب، الذى يعلمه كل اللبنانيين: **«الدولة التى لا يُنجزُ مشروعَها إلاّ أنتم المواطنون الصامدون العاملون والمتنجون والملتزمون بوحدتكم وبوطنِكم، وهى دولةٌ لا بديلَ منها، ولا رديفَ لها أبدًا»**.

ثالثًا: الموقف من العالم العربى والمجتمع الدولى

حدد السنيورة أهداف سياسته الخارجية[١٥] وأولوياتها فيما يلى:

١ ـ مسألة تحرير مزارع شبعا واعتبرها من «الأولوية الوطنية».

٢ ـ تسليم الأسرى اللبنانيين المحتجزين فى السجون الإسرائيلية.

٣ ـ ضرورة وضع حد للاعتداءات والخروق الإسرائيلية للأراضى اللبنانية.

٤ ـ واجب الدولة الطبيعى والحصرى فى تأمين الأمن لجميع مواطنيها والقاطنين على أرضها، إضافة إلى حقها الحصرى فى حمل السلاح وفى ممارسة سلطتها التامة على كامل أراضيها، بما يتوافق مع ما نص عليه اتفاق المصالحة الوطنية فى الطائف فى العام ١٩٨٩.

ووضح فى خطابات السنيورة حرصه التام على التأكيد على عروبة لبنان وعروبة انتمائه وهويته، وساق خطابه عدة حجج توضيحية تقريرية. . : **«إنّ عروبتَنا فى لبنان غيرُ مشروطة، وهى ليست بالإرغام. . إنها عروبةُ الاختيار والانتماء والالتزام. ووقوفُكم معنا حقٌّ وواجبٌ ومسئوليةٌ علينا وعليكم»**. ثم أضاف مزيدًا من الحجج التقريرية المستندة إلى أساس تاريخى/ دينى **«. . . . فالأمنُ العربىُّ أمْنٌ واحد، والمستقبلُ العربىُّ مستقبلٌ واحد. ونحن نُردِّدُ جميعًا اليومَ صرخةَ الإمامِ على كَرّم اللهُ وَجْهَه إثْرَ مقتل عثمان: أكلتُ يومَ أُكِلَ الثورُ الأبيض»**.

وكان السنيورة حريصًا على تكرار وصف العرب بأنهم **«الإخوةَ العربَ»** الذين **«بذلوا الجهد والمسعى لمساعدتنا بشتى الوسائل والسبل. . .»**. وكانت دعوة السنيورة صريحة فى طلب المساعدة الاقتصادية من العرب: **«. . . نحن نأملُ من الإخوة العرب الذين هبّوا لنجدتنا أن يتابعوا هذه الجهودَ ويطوِّروها لتبلُغَ الآفاق الضروريةَ لإنقاذ لبنانَ»**.

وفى فقرة أخرى من نفس الخطاب حدد السنيورة هذه المساعدات بالمساعدات الاقتصادية. . **«. . نحن محتاجون فعلاً للمؤازرة. . . محتاجون للدعم والمساعدة فى أعمال الإغاثة والإعمار، وفى مساعدة الاقتصاد اللبنانى، الذى كان يُعانى أصلاً من العجز والدَّين نتيجةَ الاجتياحات السابقة»**.

وأورد السنيورة فى سياق دعوة العرب إلى المساعدة حججًا إمبريقية تاريخية **تشير إلى ضرورة استمرارية المساعدة. . «قد ساعد الملوكُ والرؤساءُ العربُ فى الضغط على الدول الكبرى وسائر أطراف المجتمع الدولى من أجل إلزام المعتدى الإسرائيلى بإيقاف الأعمال العدائية والانسحاب إلى ما وراء الخطِّ الأزرق، والخروج من مزارع شبعا وتسْليمها إلى القوات الدولية، وتَبَادُل الأسرى، والكشف عن خرائط الألغام»**.

ولم يقتصر طلب السنيورة على مساعدة العرب فى الضغط على القوى الكبرى لانسحاب إسرائيل، ولكن أيضًا لضمان ألا. . . **«يتكررُ العُدْوان، وبحيث يُصبحُ وقْفُ النار دائمًا وشاملاً، فيكونُ ذلك المدخَلَ للعودة إلى اتفاقية الهدنة المعقودة فى العام ١٩٤٩»**.

وبالرغم من انتماء رئيس الوزراء إلى تيار المستقبل؛ إلا أنه لم يتورط فى مهاجمة سوريا، بل إنه صرح بأن «الصورايخ الإسرائيلية لم تميز بين سورى ولبنانى»[١٦] كما نفى السنيورة فى خطابه أن يكون هناك أى شقاق مع سوريا التى وصفها بـ«الشقيقة» حول تحرير مزارع شبعا، مؤكدًا. . . **«أنَّ المشكلةَ هى فى الاحتلال الإسرائيلى، قبل أن تكونَ تنازُعًا على أرضٍ بين لبنانَ وسوريا»**[١٧].

وفى موقفه من السعودية أكد السنيورة أنها قامت مشكورةً بمبادرة كبيرة أخرى حين دعت لعقد قمة عربية طارئة بمكّة المكرّمة من أجل لبنان: **«. . . لقد أتيتُم أيها الإخوة لغَوْثنا ومساعدتنا فى بَيروتَ ولبنان»**[١٨].

ولخص السنيورة الموقف من العرب فى تعبير بلاغى دلالى حين أشار إلى أن لبنان على مر تاريخه حكمته فى سياسته مقولة الرشادة فى السلوك السياسى: «**. . . الصبر على شدائد العدوّ وأعباء الصديق**»[١٩] مؤكدًا أن لبنان قد حمل القضايا العربية محمل الجد، وفى مقدّمتها قضيةُ فلسطين. . . «**لقد عملْنا من أجل تضامُن كلٍّ العرب وبذلْنا من أجل ذلك الغالىَ والنفيس دون منّةٍ أو تساؤل، ولا نرى لنا مكانًا أو موقعًا خارجَ هذا الانتماء وهذا الدور**».

رابعًا: الموقف من إسرائيل

هاجم السنيورة العدو الإسرائيلى، وانتقد أحيانًا المجتمع الدولى المتحيز ضد العرب والمحابى لإسرائيل بحجج واقعية وإمبريقية، من خلال تصويره للحرب نفسها، ولفظائع العدو الإسرائيلى: . . . . «**. . لم يوفر الجيشُ الإسرائيلىُّ جسرًا ولا مؤسسةً ولا طريقًا، ولا مركزًا للخدمة المدنية، ولا تجمُّعًا بشريًا إلاّ وقَصَفَهُ بما فى ذلك المستشفياتُ ومقرّاتُ القوات الدولية، ومساكنُ الناس، ووسائلُ حركتهم. لقد ضربوا حتى قوافلَ الإغاثة والمساعدات التى أرسلها إلينا الأشقاءُ العربُ، لا لسبب إلاّ للحقد والانتقام، ولا شىءَ غيرَ الحقد والانتقام**». وكذلك أورد حججًا توضيحية لتداعيات الحرب النفسية والمادية. . . «**كم من الوقت سيتطلب التآم الجراح البشرية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وبأى كلفة؟ كم من الوقت سيستلزم بناء الطرقات والجسور والمنازل وبأى كلفة؟ كم من الوقت سيمر قبل أن ننسى من قضوا تحت القصف الإسرائيلى؟ أىُّ مستقبل سينتج من الدمار غير مستقبل الخوف والكبت والانهيار الاقتصادى والتطرف؟**

وفى هذا السياق أورد السنيورة حجة تقريرية تؤكد تساوى البشر، ولكن بأسلوب تعجب لمزيد من الاستمالة والسخرية فى ذات الوقت من **الموقف الدولى حيال انتهاكات إسرائيل المستمرة**: «**وهل قيمة الحياة البشرية فى لبنان أقل من قيمة المواطنين فى دول أخرى؟ هل نحن أبناء إله أدنى (أقل قدرة)، أم أن قيمة دمعة إسرائيلية تفوق قيمة قطرة دم لبنانية؟ هل يستطيع المجتمع الدولى أن يقف متفرجًا بينما تنزل إسرائيل بنا مثل هذه العقوبة القاسية؟**

ويبدو أنه فى كل مرة يهاجم فيها السنيورة العدو الإسرائيلى أو ينتقد المجتمع الدولى: «**. . . فالمعروفُ أنّ أكثر القرارات الدولية ذات الصلة بالصراع العربى/ الإسرائيلى، ما**

نفذتْها إسرائيلُ حتى الآن، بل إنها سارتْ فى اتجاهات معاكسة لها، ولقيتْ فى انتهاكاتها للقرارات الدولية استحسانَ بعض الأطراف الكبرى فى العالَم»[٢٠].

لا ينسى السنيورة أن يستميل رجل الشارع فى الغرب بترديد نفس مفردات خطابه ونفس مقولاته، وبسرد حجج توضيحية عن الحرية والديموقراطية، مشيراً إلى أن لبنان دفعت هذا الثمن الباهظ من الدمار ومن الإحباط بسبب تبنيها وتمسكها وعدم تخليها عن طريق الديموقراطية والحرية ... . **«. . أهذا ما يسمّى الدفاع المشروع عن النفس؟ أهذا هو الثمن الذى سندفعه لقاء توقنا لبناء مؤسساتنا الديموقراطية؟ أهذه رسالة الدعم المرسلة لبلد التعدد والحرية والتسامح؟»**.

كما رفض السنيورة وصف العدوان الإسرائيلى بأنه حق مشروع فى الدفاع عن النفس؛ بل استعان السنيورة بحجج تقريرية لإثبات ذلك، فذكر وصف أمين الأمم المتحدة المساعد للشئون الإنسانية ومنسق عمليات الإغاثة الطارئة للقصف الإسرائيلى العشوائى لضواحى المدنيين بأنه يعتبر خرقًا لقواعد القانون الإنسانى فيما يتعلق بواجب حماية المدنيين خلال النزاعات. . وذلك لإدانة إسرائيل ... **«لا يمكن لإسرائيل الاستمرار فى تجاهل القانون الدولى إلى ما لا نهاية، فيجب أن تدفع الثمن»**. . فهى الصانعة للخراب فى المنطقة، والإسرائيليون من وجهة نظر خطابه يدفعونه لاستدعاء قول للمؤرخ الرومانى تاسيتوس: **«لقد صنعوا الخراب ويسمونه سلامًا»**[٢١].

كما جاءت مفردات السنيورة محبطة ومتحفظة فى آن واحد من رد فعل **مجلس الأمن** تجاه المسألة اللبنانية ومزارع شبعا. . **«لستُ راضيًا عنَ المسودات التى وصلت إلينا فى اليومين الماضيين من مشروع القرار الذى يتناقشُ مجلسُ الأمن فيه. فهو لا يظلُّ دون الشرطين اللذين ذكرتُهما فقط، بل لا يكاد يُنجز وقفًا حقيقيًا لإطلاق النار أيضًا»**[٢٢] فهذا القرار من وجهة نظر السنيورة لا يأخذ بأمرين أساسيين هما جوهر النقاط السبع؛ وهما الانسحاب الإسرائيلى من المناطق المحتلة أخيراً، والعودة إلى خلف الخط الأزرق، والانسحاب من شبعا تمهيداً لفرض الدولة سلطتها جنوبى نهر الليطانى. . . . . **«إن قرارَ مجلس الأمن رقم ١٧٠١ لم يتجاوبْ مع كلِّ ما طالبْنَا به، إلاّ أنه تعامَلَ مع قضايانا وهواجسنا المشروعة بجدّية كبيرة، فأكّدَ على الانسحاب الإسرائيلى والالتزام الدولى بسيادة لَبنان ودعمَه واَحترَام قراره الوطنى»**. . ومع ذلك لم ينف الجهد المبذول من الحكومة اللبنانية فىَ معركتها الدبلوماسية مع المجتمع الدولى لتحرير مزارع شبعا؛ بل

واعتبرها انتصاراً لحكومته . . . . **«لقد خُضْنا معركةً دبلوماسيةً قاسيةً تسلَّحْنا فيها بحقِّنا وباتِّفاقنا واستطعْنا أن نتنزعَ تعديلات جوهريةً على ما كان مقترَحًا أصلاً كنص لإقراره فى مجلسَ الأمن»** . . **«ووضع موضوعٌ مزارع شبعا فى نفس الوقت على طاولة مجلس الأمن مجدَّدًا (بعد أن اعتبر القرار ٤٢٥ أن الأمر قد تم تنفيذه) وهو أمرٌ غيرُ مسبوق فى تاريخ الأمم المتحدة»** .

خامسًا: الموقف من المقاومة فى الجنوب

فى سياق الأزمة حاول السنيورة تبنى موقف متوازن؛ فهو لم يهاجم المقاومة، ودعا فى نفس الوقت إلى تعزيز سيطرة الدولة. ولقد عبر عن موقفه المتوازن هذا بقوله: **«إنه من المبكر الكلام عن أن قرار السلم والحرب يجب أن يكون بيد الحكومة اللبنانية، وإن قرار الحرب أخذته إسرائيل، ونحن نقترح إرسال ١٥ ألف جندى من الجيش اللبنانى إلى الجنوب مدعومين من القوات الدولية، ونؤكد ضرورة أن «تكون المنطقة المذكورة خالية من السلاح إلا من سلاح الشرعية»**. وبدا واضحًا فى خطاب السنيورة أن الأزمة اللبنانية أزمة دولة وليست مجرد مجموعة من التقسيمات المذهبية والدينية والاجتماعية، وأنها أقوى كذلك من شخصية حسن نصر الله . . . إن **«السيد حسن نصرالله رجل محترم ومحبوب من الناس، ولكن المهم الآن إنقاذ لبنان»**. وأوضح أن السنيورة لم ينتقد فى كل خطاباته سياسة أو سلوك حزب الله رغم نفيه أكثر من مرة بعلم حكومته بحادث الخط الأزرق: **«. . إن حكومتى التى لم تكن على علم مسبق بعبور «حزب الله» الخط الأزرق وأسر جنديين إسرائيليين؛ لم تتبن هذه العملية»**. ولا ريب أن وصف حادث حزب الله بـ**«العبور»** وليس **الاختراق** أكد ذلك . . . وفى نفس الوقت كان خطابه اللغوى عنيفًا فى اختراق إسرائيل لسيادة لبنان . . . **«. . إن حكومتى تدين أشد إدانة الرد الإسرائيلى العنيف وعدوانها الذى تخرق به كل القوانين الدولية والاتفاقات والمعايير»**[٢٣].

كما حرص فى خطابه السياسى أن يكسب شرعية لسياساته من الجنوب، ويوحدهم تحت رايته كجزء من الشعب اللبنانى، وذلك حين تفاخر بصمود الجنوبيين والتأكيد على أنه معهم **«. . . لقد صمد اللبنانيون جميعًا، وفى طليعتهم أهلُنا الجنوبيون»**. . وأكد ذلك فى قوله بأنه . . . **«مع الجنوب قلبًا وعقلاً»**[٢٤].

وحرص الخطاب السنيورى على استمالة كافة اللبنانيين بكل قطاعاتهم ومذاهبهم وتعددهم؛ بالمناداة فى خطابه لوقف إطلاق نار فورى «**. . من بيروت ويعلبك وجبيل وصور وصيدا وقانا، وصولاً إلى طرابلس وزحلة وبشرى وللقرى الـ٢١ الواقعة على الحدود الجنوبية**» . . .

ونجح السنيورة فى سرد حججه الواقعية وراء دعوته هذه بالقول بأن وقف إطلاق النار سيكون من شعب حارب وشعب (باسل) . . . « . . **باسم الشعب الباسل فى لبنان**» . . . كما أن هناك أهدافًا سامية وضرورية وراء وقف إطلاق النار، وهى: « **... تأمين إعانات إنسانية للبنان الذى ضربته الحرب؛ ولأن استمرار الحرب ذريعة لإسرائيل للاستمرار فى احتلال الأراضى اللبنانية**»، وكذلك لأن وقف إطلاق النار . . . «**يشكل خطوة على طريق تحقيق السلام العادل والشامل بين شعوب الشرق الأوسط**» . . . وخطوة لإعادة بناء بلدنا المشرذم وإعادته بلدًا عربيًا موحدًا ديموقراطيًا ومنارة للحرية والتعددية والتسامح فى المنطقة[٢٥]، ولأن وقف إطلاق النار سيجعل لبنان مثلاً يحتذى، وأن تحوله إلى ساحة لحروب الآخرين سيحول دون ذلك.

سادسًا: خطة الحكومة لحل الأزمة اللبنانية فى تموز (يوليو) ٢٠٠٦

طرح السنيورة فى مؤتمر روما بتاريخ ٢٦/ ٧ تصورًا شاملاً ومتكاملاً للحلِّ الجذرى، أجمع عليه مجلسُ الوزراء اللبنانى، والقمةُ الروحيةُ المنعقدةُ بمقرِّ البطريركية المارونية ببكركى؛ وهى **خطة كاملة لحل الأزمة اللبنانية** تألفت من سبعة نقاط[٢٦] وضح فيها تفادى فؤاد السنيورة الميل إلى أى قوة داخل لبنان؛ إذ سعى لإيجاد قدر من التوازن بين الخطابات المتعارضة، ولم الشمل اللبنانى، وتمحورت خطته حول نقطة واحدة وهى: وقف إطلاق نار فورى وشامل وإعلان اتفاق حول المسائل التالية[٢٧]:

١ ـ التعهّد بإطلاق الأسرى والمحتجزين اللبنانيين والإسرائيليين من طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٢ ـ انسحاب الجيش الإسرائيلى إلى خلف الخط الأزرق وعودة النازحين إلى قراهم.

٣ ـ التزام مجلس الأمن بوضع منطقة مزارع شبعا وتلال كفر شوبا تحت سلطة الأمم المتحدة حتى ينجز ترسيم الحدود وبسط السلطة اللبنانية على هذه الأراضى، علمًا بأنها

ستكون خلال تولى الأمم المتحدة السلطة مفتوحة أمام أصحاب الأملاك اللبنانيين، كما أنه يتعين على إسرائيل تسليم كلّ خرائط الألغام المتبقية فى جنوب لبنان إلى الأمم المتحدة.

٤ ـ بسط الحكومة اللبنانية سلطتها على كامل أراضيها عبر انتشار قواتها المسلحة الشرعية؛ مما سيؤدى إلى حصر السلاح والسلطة بالدولة اللبنانية كما نص اتفاق المصالحة الوطنية فى الطائف.

٥ ـ تعزيز القوة الدولية التابعة للأمم المتحدة العاملة فى جنوب لبنان، وزيادة عددها وعتادها، وتوسيع مهامها ونطاق عملها وفقًا للضرورة؛ بهدف إطلاق العمل الإنسانى العاجل وأعمال الإغاثة، وتأمين الاستقرار والأمن فى الجنوب ليتمكن النازحون من العودة إلى منازلهم.

٦ ـ اتخاذ الأمم المتحدة بالتعاون مع الفرقاء المعنيين الإجراءات الضرورية لإعادة العمل باتفاق الهدنة الذى وقعته لبنان وإسرائيل فى العام ١٩٤٩، وتأمين الالتزام ببنود هذا الاتفاق، إضافة إلى البحث فى التعديلات المحتملة عليه، أو تطوير بنوده عند الضرورة.

٧ ـ التزام المجتمع الدولى بدعم لبنان على كل الأصعدة، ومساعدته على مواجهة العبء الكبير الناتج من المأساة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية التى يشهدها البلد، وخاصة فى ميادين الإغاثة وإعادة الإعمار وإعادة بناء الاقتصاد الوطنى.

وكان واضحًا تلويح خطاب السنيورة بأن هناك فاعلاً واحدًا للعمل السياسى فى لبنان وهو الدولة اللبنانية بجيشها ورموزها: «**. . . الدولةَ الدستورية، الحرة القوية، ونظامَها الديموقراطى، وجيشها الوطنى، الدولة التى توافق اللبنانيون عليها، وهى الدولةُ التى لا يُستعاضُ عنها بالدويلات أو أشباهِها. . .**»[٢٨].

ولقد قصر السنيورة مهمة البناء على هذه الدولة (الشرعية) التى بحاجة إلى التعضيد، لا إلى التفريق أو التمييز: «**. . . ستتحمَّلُ الدولةُ كلَّ مسئولياتها فى الإغاثة وإعادة الإعمار بمعاونة الإخوة العرب وأصدقائنا الكُثُر فى العالم، بشفافية كاملة ودونَ تمييز ولا تفريق وليس لنا فى ذلك منةٌ على أحد، فالدولةُ للجميع وواجبُها أن تصونَ حقوقَ مواطنيها جميعًا، وسنعتمدُ صَيَغًا للعمل وأساليبَ تأخذ بالاعتبار حاجتنا إلى السرعةِ وتضمنُ القَدْرَ الأكبرَ من الفعالية**»[٢٩].

كما نفى تمامًا فى خطابه أن تكون الدولة اللبنانية دولة متحيزة ضد أى فئة من الفئات، وأكد أنها دولة كل اللبنانيين «. . . **أنا لا أتصرف بمنطق الفريق أو الطائفة أو الفئة السياسية، أو الحزب؛ بل إننى أتصرفُ باعتبارى رئيسَ وزراء لبنان، والموقعُ لا يتسع إلاّ للدولة، دونما استثناءٍ أو تفرُّد أو تنازُلٍ أو مساومة**»[٣٠].

والجدير بالذكر أن الخطاب السنيورى جاء أكثر قوة وصلابة عقب الحرب، فى محاولة من جانبه لتوحيد الصف اللبنانى، وتفادى تبعات ما بعد الحرب وإطلالة الولاءات التحتية برأسها؛ فتعبيرات الإعزاز والثقة بالذات وباللبنانيين قد غلفت مفرداته. . . «**وأنا على ثقة**» . . . . . «**الثقة التى بها حُفظ الوطن وحُفظت وحدة اللبنانيين**»[٣١].

ولقد تم توظيف الأزمة إيجابيًا فى الخطاب الرسمى للسنيورة بعد انتهائها؛ إذ اتخذها مثالاً رائعًا على صمود وجلد اللبنانيين على الشدائد، وذريعة لاستمرارية هذا الجلد فى كل الأزمات المستقبلية. . . «**فقليلة هى الأوطان والبلدان التى قاست ما قاساه ويقاسيه لبنان. وقليلة هى الأوطان والبلدان التى صمدت على المعاناة وعلى التجارب والمحن كما صبر لبنان، وكما صبر شعبه، وكما تماسكت فئاته**»[٣٢].

وقصد خطاب السنيورة من ذلك تأكيد المسئولية الشعبية تجاه الوطن «. . . **ذلك أن الصمود الأسطورى للشعب اللبنانى مع وطنه ووحدته وحريته وسيادته؛ فرض ويفرض على الجميع تكاليف ومسئوليات بقدر ذلك الصمود**». وحدد تلك المسئولية فى خطابه فى «. . . **مسئولية بناء الدولة القادرة والحامية بالمشاركة القوية والإيجابية فى النظام الديموقراطى**».

وتحددت أولويات السنيورة فيما بعد الحرب فى عدة قضايا أهمها «. . . **إقفال ملف النزاعات الداخلية، والعمل على ألا يكون لبنان ساحة للصراعات الخارجية أو لتصفية الحسابات**» . . . وكذلك التفكير فى عملية إعمار ما بعد الحرب. وقد حدد السنيورة هذه القضايا بأنها: «. . . **الواجبات والضرورات التى تتمثل فى: . . . إعادة الإعمار، وإعادة بناء الاقتصاد الوطنى والتفكير من أجل مستقبل اللبنانيين، ومستقبل لبنان وتحقيق ازدهارهم ومشاركتهم الفاعلة فى منطقتهم وفى العالم المعاصر**»[٣٣].

سابعًا: علاقة الحكومة اللبنانية بقوى المعارضة بعد الأزمة

أكد خطاب السنيورة على ترحابه بالاختلاف فى الرأى بصفته لب الديموقراطية: «**أنا لا أقلل أهمية وحق الاختلاف السياسى فى بلد ديموقراطى نحرص فيه على الحريات العامة، ولا سيما الحريات السياسية**» . ولكنه حدد بعض الثوابت التى لا تقبل النقاش والمزايدة السياسية فى هذا الاختلاف وهى: «**. . لا شروط على الوطن، ولا شروط على الدولة، ولا شروط على النظام الديموقراطى**»[٣٤]. وإنما يأتى الاختلاف من وجهة نظره بين الفرقاء السياسيين فى وسائل المشاركة وآلياتها.

وفى سياق حديثه عن سيناريو الحكومة/ المعارضة فى لبنان؛ ركز خطاب السنيورة على عوامل الوحدة فى خطابه أكثر من عوامل الاختلاف: «**إننى أرى أن ما يجمع اللبنانيين أكبر وأكثر بكثير مما يفرقهم. نحن مجمعون على نهائية الوطن، ونهائية العيش المشترك، وعلى الانتماء العربى، وعلى الدولة الجامعة، التى تحمى ولا تهدد، وتصون ولا تبدد، وعلى النظام السياسى الديموقراطى الذى يمثل إرادة اللبنانيين من خلال الانتخابات الحرة والمنتظمة، وفصل السلطات وتعاونها، وقواعد إدارة الشأن العام، ولا سيما المراقبة والمحاسبة**»[٣٥]. وبنظرة متفحصة إلى عوامل الوحدة هذه؛ سيتضح أنها روح -إن لم تكن بنود- دستور الطائف الذى أجمعت عليه كل القوى اللبنانية.

كما حدد السنيورة شروطًا للاختلاف فى الرأى؛ إذ لا يجب أن يكون حادًا، أو يفتح بابًا للفتنة داخليًا، أو للتدخل الخارجى: «**. . . لا أرى ما يدعو إلى الحدة فى التعبير الذى تعلو فيه الأصوات بما يوتر المواطنين ولا يزودهم منفعة إضافية، وهذا ما يذكرنا بقول الفقيه المعروف الحسن البصرى الذى حذرنا من الصوت العالى الذى يستدعى الفتنة، ويقطع الألفة**». «**إن الأخطار على الوطن لا تأتى من الخارج فحسب؛ بل تأتى أيضًا من الانقسام الداخلى. . ماذا يفيد إن ربحت العالم وخسرت نفسك؟**»[٣٦].

وتبنى خطاب السنيورة الشعار الجديد للبنان ما بعد الأزمة فى الثقة والمسئولية وبناء المستقبل؛ كثلاثة عناوين لموضوع واحد هو: «**لبنان النظام الديموقراطى**»[٣٧] ولبنان الدولة، كما أورد العديد من الحجج التقريرية/ الدينية التى تعضد حديثه: «**. . . . تبقَون، وتبقى أمتُنا العربية، ويبقى لبنان: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**».

وبقراءة لغوية لخطابات السنيورة؛ يتضح غلبة الأساليب اللغوية التى تستهدف التأثير على وجدان الشعب اللبنانى للم الشمل فى مواجهة الموقف المتأزم بسبب الحرب الإسرائيلية. . ومن هذه الأساليب الضمائر الشخصية وتكرار المفردات.

فبالرغم من إبراز لبنان فى خطابات السنيورة بالدولة الهشة الضعيفة فى مواجهة إسرائيل، إلا أنه حرص فى العديد من فقرات خطاباته بالتحدث عن نفسه كرئيس وزراء لبنان؛ لإعطاء انطباع بأنه ما زال ممسكًا بزمام الأمور، ومحتفظًا بقوته فى اتخاذ العديد من القرارات على المستوى الداخلى والخارجى؛ فضمائر المتكلم هنا «**. . . كنت، أود، أستطيع، أتكلم، أصف. . .**» تبرز صفته باعتباره المتحدث الأوحد عن الدولة اللبنانية، وتعنى ضمنًا رفضه لممارسات حزب الله فى الداخل، أو أن يكون حزب الله هو المتحدث باسم الدولة اللبنانية. ولا ريب أن اختلاط الضمير (أنا) بـ (نحن) فى كثير من فقرات الخطاب. . . «**واجبنا، نصون، لدينا، مؤسساتنا، نعمل**». . إنما يؤكد توحد الصف الداخلى، وتبنى مشروع واحد، وإلقاء تبعات الحفاظ على لبنان (الوطن) على عاتق كل اللبنانيين.

كما كثر استخدام السنيورة لضمير المتكلم فى صيغة الجمع (نحن)؛ وذلك لاستمالة الشعب اللبنانى بكل طوائفه، والتعبير عن القوة والتوحد مع المستمعين. . «**نحن نحتاج التأييد الكامل من جانب المؤتمر الإسلامى**»[٣٨]؛ إذ من المعروف أن ضمير الجمع ومشتقاته يعبر عن هوية الجماعة، وزيادة استخدامه دلالة على تقسيم المستمعين إلى موالين أو أفرادًا خارج الجماعة؛ ومن ثم تجسيد لمفهوم «الأنا» و«الآخر».

ووضح أن السنيورة قد قرن فى خطابه بما تشهده البلاد من حرب ودمار؛ لكى يبرز أن الخراب الذى طال لبنان إنما هو بالأساس خراب ودمار قد شمل كافة الفئات والأفراد والجماعات، ليس الجنوب فقط أو حزبًا بعينه دون الآخر. . ويعكس كل هذا لغويًا أهمية استثمار ذلك المعنى من قبل اللبنانيين جميعًا، وبالتالى ضرورة انصهارهم فى بوتقة واحدة خاضعة لسيطرة حكومة السنيورة؛ وذلك ما دفعه فى بعض خطاباته إلى استخدام الضمير (إننا) مع الفعل (نرى) ليعمق إرادة حكومته فى التفاوض وإنهاء نفوذ حزب الله فى الجنوب.

كما حرص السنيورة فى كثير من فقرات خطبه على استخدام ضمير المتكلم (أنا) من خلال بعض الأفعال المساعدة على إيصال رسالته: «**. . . . خاطبت، تقدمت. .**»؛ ليشير إلى قدرة السنيورة على مواجهة الأزمة اللبنانية فى الساحة الدولية.

ولا ريب أن الثقة التى يبعثها إلى شعبه تنعكس إيجابيًا على قدرته على مخاطبة المجتمع الدولى فى هذا الظرف الاستثنائى؛ حيث يوجه خطابه مثلاً إلى الاتحاد الأوروبى بضمير المتكلم «نحن» ليدلل للمجتمع الأوروبى على أن كافة القرارات التى ستتخذ لمعاونة لبنان إنما تخضع فى نهاية المطاف لسيطرة الحكومة الحالية؛ وهى حكومة السنيورة، ليخفف من وطأة ما يشعر به الغرب تجاه سيطرة حزب الله على الجنوب وتهديد إسرائيل الحليف للكثيرين فى المنطقة.

وبشكل عام كان أسلوب **التوحد والإطراء** عن الآخر أحد أهم الأساليب اللغوية للسنيورة فى خطاباته، «**مقاوموكم ـ شهداؤكم ـ صامدوكم**»؛ فاقتران هذه الضمائر ببعض المفردات اللغوية البراقة التى تحرك مشاعر وعواطف الشعب اللبنانى؛ إنما قصد منها إذكاء روح البطولة لدى الشعب لاستثمارها فى تواصل عملية الدفع للمقاومة الإسرائيلية: «**. . . . إنكم بفضل صمودكم. . ومواجهتكم لحربه على لبنان أكدتم أن إسرائيل لم تعد قوة لا تقاوم. . .**».

كما يجىء العهد الذى حرص السنيورة عليه وامتزج بالضمير (نحن) فى أكثر من فقرة فى خطابه. . . «**إننا نعاهدكم. .**»؛ ليلقى بتبعة المواجهة وحل الأزمة على عاتق الحكومة، وليكتسب الثقة من الشعب.

ويؤكد هذا المعنى استخدام السنيورة لنفس الضمير حين تحدث أمام مجلس الوزراء العرب عن الأزمة؛ فاستخدم لفظ «تواجهنا» ليدلل على أن الأزمة التى يواجهها لبنان هى الأزمة التى تواجهها الأمة العربية، وأن قرار إنهاء الحرب إنما يخص العرب جميعًا؛ لأنه «**تحدٍّ**» لتلك الدول فى مواجهة إسرائيل.

ولما كانت الألفاظ المتكررة تدعم وتعيد صياغة مفاهيم الجماعة، إضافة إلى إعادة صياغة الأدوار المنوطة بالأفراد؛ عمد السنيورة فى معظم خطاباته إلى الإشارة إلى الدمار الذى خلفته الهجمة الإسرائيلية على لبنان، وإلى الخراب الذى طال البلاد، ومدى ما نشرته هذه الحرب من تدمير، وهو يهدف من تكرار الإشارة إلى هذا الدمار إلى بث مشاعر

الحسرة التى يشعر بها شخصيًا، وبذلك يدعم موقفه أمام الشعب اللبنانى كمسئول عن لبنان وعمّا يعانيه، كما يعمل على بث هذه المشاعر متضامنًا مع شعبه أمام الرأى العام العالمى؛ كى يؤكد على عمق الجريمة الإسرائيلية؛ مما يمكنه من كسب تعاطف المجتمع الدولى وتأييده.

كما أن تأكيد السنيورة وتكراره فى كل خطاب على فكرة الخسارة اللبنانية المتمثلة فى الشعب: «**. . . ومن استشهدوا فداءً لهذا الوطن**» . . إنما هى محاولة من جانبه للضغط على الجانب النفسى للشعب اللبنانى، مؤكدًا أن الحكومة لن تقف مكتوفة الأيدى، كما لن يسعدها أن تستمر فى حكمها وقد دمرت البلاد، وفى هذا تأكيد آخر على اضطلاع الحكومة بمهامها داخليًا وخارجيًا، ويدعم هذا التكرار المفاهيم التى سبق وتم طرحها فى تناول الضمائر الشخصية؛ حيث يشدد السنيورة داخليًا على توجهه فى الداخل متمثلاً فى إبعاد حزب الله عن دوره فى الجنوب، وكذلك موقفه الخارجى فى القدرة على التفاوض مع المجتمع الدولى باسم لبنان كله.

واللافت للنظر أن خطاب السنيورة عن تكرار الحديث عن الدمار الذى لحق لبنان أمام الغرب؛ كان الهدف من ورائه إيضاح أن الدولة اللبنانية تحتاج إلى دعم الغرب السياسى لبناء الدولة الديموقراطية المشهود لها، والتى لن يصدر عنها أى تهديد عسكرى أو دينى لدول المنطقة أو لباقى دول العالم. . . «**إن المجتمع الدولى له مصلحة فى مساعدة شعوب المنطقة للتخلص من مشاعر اليأس ولبناء مجتمعات أكثر ديموقراطية**»[٣٩].

* * *

الخاتمة

للوهلة الأولى يتضح من تحليل الخطاب السياسى للسنيورة أن هناك ثلاثة مرتكزات أساسية لتحليل الأزمة التى طالت لبنان بسبب الحرب مع إسرائيل تمثلت فى:

١ ـ محاولة السنيورة استغلال هذه الأزمة لتدشين سلطته بالداخل، وإبعاد حزب الله عن العملية السياسية والعسكرية فى الجنوب.

٢ ـ كسب تأييد الدول العربية لمساعدة لبنان اقتصاديًا وماليًا ومساعدتها فى بناء بنيتها التحتية التى دمرتها الحرب.

٣ ـ التأثير على العالم الغربى بتكرار المردود الإيجابى لمساندتهم السياسية والعسكرية لحكومة السنيورة، والمتمثل فى ترتيب الأوضاع السياسية للبيت اللبنانى بما يتفق مع مصلحة الغرب، ويضمن عدم تهديد دول الجوار اللبنانى، ويحقق الاستقرار فى المنطقة.

ولقد غلب على لغة السنيورة مفردات وأساليب الاستمالة أكثر من عبارات التهديد والوعيد. كما اتخذ السنيورة من مفردات الضعف والظلم والهوادة أكثر من مفردات التحدى والقوة سبيلاً لتمكين حكومته، فحتى عند الحديث عن البناء وإعادة الإعمار؛ كان المسكوت عنه دائمًا الحاجة إلى الدعم العربى والغربى.

واللافت للنظر أن ضمائر المتكلم (نحن) أو (أنا) قد غلفت كثيرًا من عبارات السنيورة، فى إشارة واضحة لحاجة السنيورة وحكومته للدعم المادى والمعنوى، ولتأكيد أنه لا يزال يمسك بزمام الأمور.

وقد يبدو غريبًا أن لغة السنيورة فى حديثه عن الآخر (حزب الله) لم تحتل المساحة المتوقعة فى خطاباته، ولم تتطرق مفردات خطابه أبدًا إلى المهاجمة أو اللوم، رغم أن المسكوت عنه أحيانًا والمفهوم ضمنًا فى أحيان أخرى هو محاولة استبعاد هذا الآخر الذى سبب كل تلك الأزمة، أو على الأقل استيعابه وتضمينه فى مظلة الدولة اللبنانية بحكومة السنيورة. هذا ولقد بدا السنيورة فى كثير من فقرات خطابه موضوعيًا ذا حجة برهانية علمية... **«علينا ليس فقط أن نقنع أنفسنا بحقنا، علينا أن نقنع الآخرين بأن لنا حقوقًا وأننا علينا أن ندافع عن هذا الحق وأن نستحق حقنا»**[٤٠]؛ ولذا كان السنيورة حريصًا فى كل مرة يتحدث فيها عن جانب من جوانب الأزمة أن يورد حججًا تقريرية توضيحية أو إمبريقية تدعم ما يقوله؛ ليؤكد أنه ابن بار لسيرته الذاتية[٤١]؛ فبالرغم من أنه معروف بحبه للثقافة العربية، والأدب العربى وطول باعه فى اللغة العربية وآدابها، وتوليه منصب رئيس النادى الثقافى فى بيروت، إلا أنه ذو اهتمام كبير بالأرقام والميزانيات... «أنا عقلى دائمًا يتطلع إلى قدام؛ لأنه اللى بيظل بيتطلع لورا ما بيوصل لنتيجة بيعمل حوادث مرور»[٤٢].

* * *

الهوامش :

1 - Geis, M.L., The Language of Politics, New York: Springer Verlage, Inc., 1987, P.18.

2- Jowett & O'Donnel, Propaganda and Persuasion, London: Sage Publication, 1999, P.6

3- Geis, Op. Cit., P.8

4- Wodak, R, Language, Power and Ideology: Sudies in Political Discourse, 1989.

٥ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : المستقبل، الخميس ٢٧ تموز ٢٠٠٦ ، العدد ٢٣٣٧ ، شئون لبنانية، صفحة ٥ .

٦ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

٧ ـ المرجع السابق .

٨ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

٩ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

١٠ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة . . أضيف فى : ٤/ ٨/ ٢٠٠٦ ، ٣٩ : ٤٢ : ١٢ .

١١ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

١٢ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة . . أضيف فى : ٠٤/ ٠٨/ ٢٠٠٦ ، ٣٩ : ٤٢ : ١٢ . .

١٣ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .

١٤ ـ كلمة دولة رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة، السراى الكبير الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ أضيف فى : ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٦ ، ٠٤ : ٣٣ : ٠٩ .

١٥ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

١٦ ـ أحمد تهامى عبد الحى، الدلالات الحضارية فى الخطاب الرسمى وخطاب القوى السياسية اللبنانية : تعددية ثرية أم اختلاف وتشظى؟ بحث مقدم إلى مركز البحوث والدراسات الحضرية، بحث غير منشور، ٢٠٠٦ .

١٧ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير، الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .

١٨ ـ كلمة الرئيس السنيورة لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .

١٩ ـ كلمة الرئيس السنيورة لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٢٠ ـ المرجع السابق .

٢١ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما: مرجع سبق ذكره.
٢٢ ـ كلمة الرئيس السنيورة التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد اليوم فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ . أضيف فى: ٧/ ٨/ ٢٠٠٦، ١١: ٥٩: ٤.
٢٣ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما: مرجع سبق ذكره.
٢٤ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .
٢٥ ـ المرجع السابق.
٢٦ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما: مرجع سبق ذكره.
٢٧ ـ كلمة الرئيس السنيورة التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد اليوم فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ . أضيف فى: ٧/ ٨/ ٢٠٠٦، ١١: ٥٩: ٤.
٢٨ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير، الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .
٢٩ ـ المرجع السابق.
٣٠ ـ المرجع السابق.
٣١ ـ إفطار السرايا، مرجع سبق ذكره.
٣٢ ـ المرجع السابق.
٣٣ ـ المرجع السابق.
٣٤ ـ المرجع السابق.
٣٥ ـ المرجع السابق.
٣٦ ـ المرجع السابق.
٣٧ ـ المرجع السابق.
٣٨ ـ خطاب السنيورة أمام الوزراء والسفراء العرب: ٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٩ ـ كلمة السنيورة أمام البرلمان الأوروبى، مرجع سبق ذكره.
٤٠ ـ مقابلة خاصة مع رئيس وزراء لبنان، العربية، ١٧ أغسطس ٢٠٠٦ .
٤١ ـ ولد فؤاد عبد الباسط السنيورة فى مدينة صيدا، عاصمة الجنوب اللبنانى، عام ١٩٤٣، ونشأ فى حى الكنان، وتحديداً فى حارة الأمريكان، فى عائلة صيداوية مسلمة سنية من الطبقة المتوسطة. بدأ السنيورة حياته العملية فى العاصمة اللبنانية بيروت بعد تخرجه عام ١٩٦٧ ببكالوريوس فى إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية فى بيروت، وحصل عام ١٩٧٠ على ماجستير فى إدارة الأعمال أيضًا من الجامعة نفسها. وعلى الأثر عمل بين عامى ١٩٧١ و١٩٧٦ محاضراً فى الجامعة الأمريكية، وبين ١٩٧٥ و١٩٧٦ فى الجامعة اللبنانية أيضًا. وخلال الفترة ذاتها عمل بين عامى ١٩٧١ و١٩٧٥ فى مركز التدريب التنفيذى التابع لمصرف «فيرست ناشونال سيتى بنك» . وكان قد شغل بين عامى ١٩٦٧ و١٩٧٢ وظيفة مساعد مدير فى المصرف.

وفى عام ١٩٨٣ عاد السنيورة إلى العمل الخاص فتولى منصبى مجلس الإدارة والمدير العام فى بنك البحر المتوسط حتى عام ١٩٩٢ ، وتولى أيضًا رئاسة مجلس إدارة ومنصب المدير العام فى البنك السعودى اللبنانى بين عامى ١٩٨٦ و١٩٩٢ .

فى أواخر عام ١٩٩٢ دخل السنيورة فعليًا المعترك السياسى عندما اختاره الرئيس الحريرى وزير دولة للشئون المالية فى حكوماته الثلاث الأولى (احتفظ الحريرى نفسه بحقيبة وزارة المالية بجانب الرئاسة)؛ وذلك بين ٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٢ و٢٥ مايو (آيار) ١٩٩٥ ، ثم بين ٢٥ مايو ١٩٩٥ و٦ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٦ ، ثم بين ٧ نوفمبر ١٩٩٦ و٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٨ . وفى مطلع عهد لحود الذى شهد ابتعاد الحريرى عن رئاسة الحكومة لمدة سنتين، بين أواخر ١٩٩٨ وأواخر ٢٠٠٠ ؛ وجهت عدة تهم مالية إلى السنيورة وعدد من المسئولين فى عهد وزارات الحريرى، غير أن القضاء برأ ساحتهم. وبعد انتخابات عام ٢٠٠٠ التى حقق فيها الحريرى انتصارًا ضخمًا لا سيما فى بيروت حيث خسر حتى رئيس الحكومة الرئيس الحص مقعده البرلمانى؛ عاد السنيورة إلى مقاعد الوزارة، وهذه المرة شغل منصب وزير المالية فى حكومتى الحريرى الرابعة والخامسة بين ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠ و١٥ إبريل (نيسان) ٢٠٠٣ ، وبين ١٧ إبريل ٢٠٠٣ و٢٦ أكتوبر ٢٠٠٤ .

٤٢ ـ مقابلة خاصة مع رئيس وزراء لبنان، العربية، مرجع سبق ذكره.

***